مكانة زليتن في سياسة باشوات طرابلس خلال العهـــــــــــد القرمانلي1711-1835م

مفتاح بلعيد غويطة
عضو هيئة تدريس بقسم التاريخ ، كلية الآداب الخمس ، جامعة المرقب - ليبيا
moftahb2014@yahoo.com

ملخص البحث :
نظرا لأهمية زليتن على الأصعدة كافة الاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فقد عوملت خلال العهد القرمانلي معاملة خاصة، وحظيت بمكانة معتبرة وبارزة في سياسة الباشوات القرمانليين، الذين تعاقبوا على كرسي الحكم في العاصمة طرابلس. وربما لم تكن هذه المكانة بأقل أهمية من مكانة مراكز ومواقع ومدن طرابلسية أخرى تقع في غرب الإيالة أو في أجزائها الأخرى الوسطى والجنوبية والشرقية.
وإذا كانت هذه نتيجة مسبقة وحقيقة مسلم بها فإن الدراسة تحاول معرفة أسباب وخلفيات اهتمام باشوات طرابلس بزليتن والحرص على فاعلية دورها الحيوي على مختلف الصعد. ونعني هنا بالسياسة القرمانلية تلك السياسة التي انتهجت تجاه زليتن المكان والسكان والموقع والموارد ونحوها. وتطرح الدراسة سؤالا مفاده كيف كانت مكانة زليتن في السياسة العامة للباشوات خلال العهد القرمانلي؟، وما خلفياتها؟، وإلى مدى نجحت تلك السياسة في الاستفادة من زليتن فيما يخدم المصالح الخاصة والعامة للحكم القرمانلي؟.
تفترض الدراسة استفادة كبيرة لباشوات طرابلس من زليتن ماليا واقتصاديا واستراتيجيا. وامتحانا لهذ الافترض وإجابة عن التساؤلات المذكورة آنفا اتبعت الدراسة المنهج التاريخي القائم على الوصف والسرد والتحليل، معتمدة على مادة مصدرية هامة، وإن كانت شحيحة اشتملت عليها وثائق ومصادر الفترة العربية منها وغير العربية، المنشورة وغير المنشورة.
الكلمات المفتاحية : باشوات طرابلس ، العهد القرمانلي، زليتن ، الاقتصاد

المقدمـــــــة:
نظرا لأهمية زليتن على الأصعدة كافة الاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فقد عوملت خلال العهد القرمانلي معاملة خاصة، وحظيت بمكانة معتبرة وبارزة في سياسة الباشوات القرمانليين، الذين تعاقبوا على كرسي الحكم في العاصمة طرابلس. وربما لم تكن هذه المكانة بأقل أهمية من مكانة مراكز ومواقع ومدن طرابلسية أخرى تقع في غرب الإيالة أو في أجزائها الأخرى الوسطى والجنوبية والشرقية.
وإذا كانت هذه نتيجة مسبقة وحقيقة مسلم بها فإن الدراسة تحاول معرفة أسباب وخلفيات اهتمام باشوات طرابلس بزليتن والحرص على فاعلية دورها الحيوي على مختلف الصعد. ونعني هنا بالسياسة القرمانلية تلك السياسة التي انتهجت تجاه زليتن المكان والسكان والموقع والموارد ونحوها. وتطرح الدراسة سؤالا مفاده كيف كانت مكانة زليتن في السياسة العامة للباشوات خلال العهد القرمانلي؟، وما خلفياتها؟، وإلى مدى نجحت تلك السياسة في الاستفادة من زليتن فيما يخدم المصالح الخاصة والعامة للحكم القرمانلي؟.
تفترض الدراسة استفادة كبيرة لباشوات طرابلس من زليتن ماليا واقتصاديا واستراتيجيا. وامتحانا لهذ الافترض وإجابة عن التساؤلات المذكورة آنفا اتبعت الدراسة المنهج التاريخي القائم على الوصف والسرد والتحليل، معتمدة على مادة مصدرية هامة، وإن كانت شحيحة اشتملت عليها وثائق ومصادر الفترة العربية منها وغير العربية، المنشورة وغير المنشورة، ناهيك عن مؤلفات وكتابات لرحالة ومعاصرين، عايشوا الفترة ودونوا ملاحظاتهم عن السياسة القرمانلية الداخلية منها والخارجية، وسياسة باشوات طرابلس في هذه الفترة تجاه زليتن، وأخيرا مؤلفات لمؤرخين متأخرين وبحاثة، أولوا الفترة القرمانلية في ليبيا اهتماما خاصا، أو كانت مسألة الاعتماد على مؤلفاتهم ضرورية لإيضاح جزئيات ذات صلة بالموضوع.

بادي ذي بدء نقول إن زليتن أو زليطن او تياليتن أو ظل التين بكل مسمياتها واختلاف الجغرافيين والمؤرخين والكتاب في تفسير معناها، هي بلدة ساحلية تقع شرق طرابلس بحوالي مائة وثمانية وخمسين كيلو مترا، وإلى الغرب من مصراتة بحوالي أربعة وخمسين كيلو مترا، كانت تسمى يصليتن باللغة البربرية، كاسم لقبيلة من قبائل هوارة، ثم مع التداول اللغوي صارت تنطق زليتن[1]. وربما سميت ظليتن نسبة لخدم الشيخ الذين كانوا يعرفون بظليتن[2]. وربما سميت بهذا الاسم نسبة لمرساها القديم الذي كان يعرف باسم تيتاليتا Titalita، ويقع على بعد خمسة وعشرين كيلومترا من وسط المدينة[3].

أنشئت زليتن على أنقاض مدينة سيسترنائي Sisternae القديمة، وفي العقود الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي حسب وصف بعض زائريها كانت تمتاز بخصوبة أراضيها، وتضم حوالي خمسة عشر قرية، ورغم تقدمها العمراني كانت أغلب مبانيها مبنية بالطين، ومسقوفة بسعف النخيل[4]. ويقطن زليتن مجموعة من القبائل والعائلات بمختلف المسميات، أولاد الشيخ والبراهمة والعمائم والكراغلة، والفواتير نسبة لفواتير السبعة، وهم عرب أشراف يقاسمهم في النسب أولاد الشيخ، لأنه فيتوري، وأولاد الشيخ هم أبناء وأحفاد عبد السلام الأسمر[5].

اكتسبت زليتن مكانة استراتيجية واقتصادية وعسكرية واجتماعية عبر العصور؛ نظرا لتوسطها المنطقة الساحلية مصراتة لبدة/ الخمس فيما بعد[6]. كما أن بها الكثير من أضرحة الأولياء الصالحين، الذين عاشوا في المدينة عبر تاريخها الوسيط، واكتسبوا مكانة ومهابة في الوسط الاجتماعي، يأتي في مقدمتهم الولي الصالح عبد السلام الأسمر الفيتوري1473-1572م[7]. كان موقع المنطقة الجغرافي رافدا للثقل الاجتماعي والاقتصادي الواقع في شرقها مصراتة وماجاورها، والثقل الاجتماعي والاقتصادي الواقع غرب زليتن ونعني به كعام وساحل الأحامد ومركز المدينة الخمس والجبال والسهول جنوب وغرب الخمس، ناهيك عن ارتباطها بأراضي بني وليد جنوبا، وأهمية تلك الأراضي رعويا وزراعيا وتجاريا، على اعتبار أن بني وليد تعد بوابة فزان نحو الساحل في زليتن ومصراتة[8].

كانت هذه الأهمية والمكانة والثقل الاجتماعي والاقتصادي والديني قد جعل زليتن تستقطب جيرانها في الشرق والجنوب والغرب، وتتعايش معهم، كما جعل السلطة العثمانية في طرابلس ومن بعدها القرمانلية تتعامل مع منطقة زليتن إداريا وبكل كياسة، فأحيانا عرفت المنطقة الاستقلال الإداري والتبعية فقط لمركز الحكم في العاصمة طرابلس، يحكمها مدير معين من قبل الولاة وحكام طرابلس[9]. وفي أحيان أخرى كانت متطلبات الحكم وتطورات الأوضاع الاقتصادية

---

(1) الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ط/1 ، 1968، ص170؛ إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب، تعريب وتعليق: حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،1997، ص19.

(2)إسماعيل كمالي، مصدر سابق، ص58-60.

(3) محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى، دار الفرجاني، طرابلس1995، ص97-98.

(4)هنري وفريدرك بيتشي، الإخوان بيتشي والساحل الليبي 1821-1822م، ترجمة الهادي مصطفى أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1996، ص77؛ محمود ناجي، مصدر سابق، ص97-98.

(5)هنريكو دي أغسطيني، سكان ليبيا القسم الخاص بطرابلس الغرب، تعريب وتقديم: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط/2، 1978، ص208-239؛ الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص170-171؛ إسماعيل كمالي، مصدر سابق، ص55، 58-61.

(6)بيتشي، مصدر سابق، ص77.

(7) الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (مخطوطة غير محققة)، الجزائر، 1908، ص184-186؛ إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة1911، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا –تونس، ط/2 ،1991، ص220-221. للمزيد عن شخصية عبد السلام الأسمر أنظر: أحمد كريم الدين البرموني، تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب سيدي عبد السلام رحمه الله، تنقيح وتعليق: محمد بن محمد بن مخلوف، مكتبة الثقافة، بيروت، 1966، ص74-231؛ مصطفى عمران بن رابعة، رسائل الأسمر عبد السلام بن سليم الإدريسي الحسني إلى مريديه، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط/1، 2002، ص11-21.

(8)باولو دي لاشيلا، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة في عام 1817م، ترجمة: الهادي مصطفى بولقمة، منشورات مكتبة الفكر طرابلس، د.ت ، ص44-45.

(9) إتوري روسي، مصدر سابق، ص456؛ محمود ناجي، مصدر سابق، ص84.

والعسكرية والسياسية في الإيالة الطرابلسية تسترعي أحيانا أن تكون زليتن مكونا إداريا ضمن الإدارة القرمانلية في مصراتة، بحيث تضم الأخيرة البلدات الواقعة شرقها حتى سرت وجنوبا بني وليد وغربا زليتن وساحل الأحامد[10].

إن ما اكتسبته زليتن عبر العصور من أهمية استراتيجية كبرى فإنها قد وضعت في سياق السياسة العامة لباشا طرابلس أحمد القرمانلي وخلفائه من بعده، وبالتالي وضعت مكانة زليتن هذه في سياسات باشوات طرابلس القرمانليين، مع مافيها من شد وجذب وفتور ونشاط على عدة أصعدة، يمكن الإشارة إليها وفق الآتي:

أولا: المكانة الاستراتيجية الإدارية والعسكرية والبشرية:

عندما استلم كرسي الحكم في طرابلس كبير ضباط القلعة الكرغلي أحمد القرمانلي دخلت زليتن في مرحلة جديدة، شأنها شأن المناطق الطرابلسية الأخرى، وعايشت الحكم القرمانلي 1711-1835م، وتأثرت طبيعيا بكل متقلبات الأحوال السياسية والاقتصادية والطبيعية والصحية المحلية والإقليمية وحتى الدولية المصاحبة، وتمتعت بمكانة في السياسة العامة للباشوات القرمانليين بمختلف وجوهها وعلى مختلف الأصعدة. كان على الإدارة السياسية الجديدة في طرابلس وضع آلية حكم طرابلس وبكامل مناطقها وأقاليمها وقراها؛ فاقتضت تلك السياسة أولا: الحصول على الشرعية، والقيام بترتيبات مع القوى الدولية وإقناع السلطان العثماني بأحقية البيت القرمانلي في حكم الإيالة، وقد تحصل أحمد القرمانلي بالفعل علي الاعتراف به باشا لطرابلس من الباب العالي بإسطنبول سنة1718م، وفقا لما ذكره القنصل الفرنسي بطرابلس في رسائله، التي كان يتحف بها الخارجية الفرنسية عن جل الأوضاع في الإيالة الطرابلسية[11]، وفيما يبدو أن الفرمان السلطاني لم يعلن رسميا في طرابلس إلا بعد مضي قرابة أربع سنوات أخرى من تاريخ الإعلان عن الإجراء العثماني[12]؛ لأسباب تعود في تصوري إلى عدم الفتح المجال لمزيد من استقلال الأقاليم عن السلطنة العثمانية في تلك الظروف.

كان الحصول على الشرعية مهما لكسب الولاء والاعتراف الإقليمي والدولي وحتى المحلي، وخاصة التقرب من المرابطين وأضرحة الأولياء الصالحين وأتباع وأولاد المتوفين منهم، مثل الولي الصالح عبد السلام الأسمر عمدتهم بزليتن، وربما كان هذا الولي أقرب تلك الأضرحة لمركز المدينة، وأكثرها شهرة وتأثيرا في الوسط الاجتماعي الليبي بشكل عام، والأكثر حظوة واهتماما عند باشوات طرابلس القرمانليين[13]، الذين كانوا يحرصون كل الحرص على ترضية المرابطين والتقرب منهم في كل المناطق الليبية منذ استلامهم للحكم سنة 1711م، وكان تقربهم هذا إيمانا منهم باعتقاد عوام الناس وحتى خاصتهم في هؤلاء المرابطين والأولياء، وبالتالي احترام الحاكم كلما كان مبجلا وراعيا لمقامات وأضرحة ومريدي الأولياء الصالحين[14].

اقتضت السياسة الجديدة أيضا التخلص من الخصوم، وخاصة كبار المنافسين في العاصمة طرابلس، ونعني بهم الضباط الأتراك، الذين نجح أحمد القرمانلي عند استيلائه على الحكم سنة 1711م في قتل رؤسائهم وقادتهم وإقصائهم بعد صراعات وتنافس مع كبار هؤلاء الضباط وأتباعهم في قلعة طرابلس، كقوة ضاربة كان لها أتباع مقاتلون ومدربون، ولهم

---

[10] كان هذا الاجراء غالبا يتم خلال الظروف الطارئة مثلما حدث عند اندلاع ثورة عبد الجليل سيف النصر انظر: رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، ترجمة: طه فوزي، مراجعة: حسن محمود وكمال الدين عبد العزيز الخربوطلي، إشراف: محمد شفيق غربال، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة،1961، ص228.

[11] رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص23، 28.

[12] المصدر نفسه، ص28.

[13] كانت زليتن ومقبرة الشيخ تحديدا أماكن مفضلة لدفن موتى بعض الشخصيات المقربة من الباشوات القرمانليين، وخاصة من كبار مسئوليهم في المنطقة أو عابري السبيل، ممن كانوا مكلفين بمهام وقتلوا أو ماتوا في طريق عودتهم الى طرابلس قرب زليتن من هؤلاء نذكر: محمد المكني الذي عين مكان نجل الباشا اعموره، عندما اشتط الأخير في معاملة أهالي منطقة مصراتة، أثناء الثورة الذي قادة عبد الجليل سيف النصر، وظل مطيعا للباشا وابنه علي حال تسلم الأخير للسلطة سنة 1832م، ونجح في تحرير مرزق من قوات الثوار، لكنه عندما كانت عائدا إلى طرابلس اغتيل في الطريق بين مصراتة وزليتن انظر: حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ج/2، ص85؛ رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص228، 242.

[14] بخصوص هذا الموضوع أنظر: كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة: عبد القادر مصطفى المحيشي، مراجعة: صلاح الدين حسن السوري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، ط/1 ،1988، ص24-25؛ امحمد سعيد الطويل، البحرية الليبية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس،2012، ص135-136.

حاشية وارتباطات مالية وعلاقات متشابكة مع أهالي الإيالة، ومع الاستخبارات والقنصليات الأجنبية والرعايا الأجانب واليهود، المقيمين بين ظهراني الطرابلسيين، ومن ثم أتيح للباشا التخلص من أولئك الضباط وأعوانهم، والسيطرة على ممتلكاتهم وأموالهم داخل العاصمة وخارجها[15].

كان يفترض على باشا طرابلس كذلك تكوين وتنظيم الجيش، وإعادة تفعيل الضبط الشرطي وتقوية أجهزة البوليس والشرطة والمخابرات، والبحث عن مصادر الدخل المالي، وتقوية وتعزيز القدرات الاقتصادية، وتقوية احتياط الخزينة العامة للإيالة الطرابلسية من خلال تأمين الإيرادات المالية الخارجية والداخلية؛ لذا تبوأت زليتن مكانة متميزة إداريا واستراتيجيا لدي باشوات طرابلس القرمانليين، فاختير لإدارة الأمور في زليتن حاكم عسكري، اختير من كبار ضباط الكروغلية، استنادا لأصول باشوات طرابلس ذاتها كمهنة أو حرفة أو حتى عرق، فهم نتاج لتزاوج أجدادهم الضباط الذين جاءوا مع العساكر العثمانيين عند بسط سيطرتهم على طرابلس الغرب1551م[16]، أو حتى عند تواصلهم مع سكان السواحل الطرابلسية، وخاصة في ضواحي طرابلس أثناء سيطرة الإسبان ثم فرسان مالطا عليها[17].

ترجع أصول القرمانليين لعائلات عاشت في إمارة قرمان بآسيا الصغرى، فسموا بالقرمانليين أو القرمانيين نسبة إليها[18]. ونظرا لتمردات الإقليم المستمرة على السلاطين العثمانيين حتى سقوط إمارة قرمان نهائيا في يد السلاطين العثمانيين عام 1483م[19] فإن السياسة العثمانية اقتضت إدخال القادرين على حمل السلاح من أهل الإمارة في الجيش الإنكشاري بفرقتيه البيادة والسباهيه، وإرسالهم إلى مسرح العمليات الحربية العثمانية البرية والبحرية البعيدة عن الأناضول، فكانت طرابلس ضمن مسرح العمليات العثمانية التي شارك فيها مقاتلون من إمارة قرمان، تذكر المصادر بعضا منهم كمصطفى ومحمود ويوسف ونحوهم، هؤلاء تملكوا أراض في ضاحية المنشية بطرابلس[20]، وتزوجوا بنساء طرابلسيات، وحتى أجنبيات وقعن أسرى أو تم شراؤهن من سوق النخاسة، وأدخلن الإسلام بعدئذ، وشيئا فشيئا أصبح هؤلاء الكراغلة شأنهم شأن غيرهم من كراغلة الدولة العثمانية من كبار برجوازية المدينة، وخاصة مع انتزاع أحمد باشا الكروغلي الحكم في طرابلس1711م، بل وأصبح الكراغلة من أقوى الفئات التي كان يوكل لها مهام مالية وسياسية وعسكرية في الإيالة، وتمتع كبار قادتها بنفوذ كبير فاق نفوذ الفئات المحلية الأخرى، التي كانت تتشكل في معظمها من الأهالي الطرابلسيين[21].

---

[15] تشير معظم الدراسات إلى أن أحمد باشا القرمانلي وصل إلى سدة الحكم في ظل صراع بين الكروغلية واتباع الأتراك، وخاصة بعد مقتل محمد بن الجن الكرغلي، ومحاولة انفراد محمود أبي اميس بالحكم، والتخطيط لقتل أحمد القرمانلي، والأخير حال التخلص من أبي اميس والتربع على عرش الإيالة قام بقتل قرابة ثلاثمائة ضابط تركي، في حفلة عشاء في بيته بالمنشية أعاد تنفيذ فصولها وبأكثر بشاعة محمد علي حاكم مصر في حق كبار الضباط المماليك بعد مضي قرن من الزمن على مذبحة الضباط الأتراك بطرابلس. أنظر بخصوص كيفية وصول أحمد القرمانلي للحكم وقتل الضباط الأتراك المصادر التالية: ريتشارد توللي، عشر سنوات في بلاط طرابلس وصف شامل لذكريات صادقة عن طرائف البلاط وباشا الإيالة الحاكم وعادات وتقاليد مسلمي المغرب والعرب والأتراك، نقله إلى العربية عمر الديراوي أبو حجلة، دار الفرجاني، طرابلس- القاهرة- لندن، د.ت، ص86-87؛ كولا فولايان، مرجع سابق، ص10-12.

وبخصوص المذبحة التي نفذها محمد علي في حق كبار الضباط المماليك في القلعة بالقاهرة سنة1811م أنظر: محمد فريد بك، البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، تحرير ودراسة: أحمد زكريا الشلق، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط/2 ،2006، ص53-58.

[16] ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص48.

[17] علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار1830-1932، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط/2، 1998، ص99.

[18] للمزيد عن إمارة قرمان بآسيا الصغرى ونشأتها وأصل سكانها وعلاقاتها بالدولة العثمانية والممالك المجاورة أنظر: الجوهرة عبد الله سلطان الشهراني، إمارة قرمان في آسيا الصغرى(625-888ه/1227-1483م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط/1 ،2021، ص43-179.

[19] أنظر بتوسع: الجوهرة الشهراني، مرجع سابق، ص113-162؛ خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد .م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط/1 ،2002، ص26-47، 295.

[20] بخصوص هذا انظر: رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص11-12؛ عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا1795-1835م، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ط/1، 1966، ص33-35.

[21] إسماعيل كمالي، مصدر سابق، ص25-29؛ كولا فولايان، مرجع سابق، ص9-10؛ جيرار البروفنصالي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبد الحكيم عبد السلام الأربد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،2007، ص114.

وعلى الرغم من أن تعداد سكان مركز مدينة زليتن لم يكن يتجاوز ثلاثمائة إلى خمسمائة نسمة، وأن مجموع سكان قرى زليتن الخمسة عشرة حوالي عشرة آلاف نسمة[22]، كان الكراغلة يشكلون مكونا مهما من سكان المنطقة، وكان على ممثل الباشا في زليتن إعداد قوة عسكرية من أولئك السكان توضع تحت تصرف الباشا في أي وقت يشاء، وهذه القوة العسكرية كانت عبارة عن فرقتين، أولهما نظامية أو شبه نظامية، وكانت مدربة وأفرادها كانوا معفيين من الضرائب نظير أداء الواجب القتالي المساند للقرمانليين[23]، وفرقة أخرى ليست نظامية وإنما تعد عند الضرورة فقط وهي من الفرسان أو الخيالة[24]. كان مكون الفرقة الثانية البشري من أولاد الشيخ عبد السلام الأسمر ومن أبناء قبائل المرابطين في منطقة زليتن، إسوة بغيرها من المناطق، هؤلاء يجهزون بكامل العتاد العسكري والتموين من قبل قبائلهم وحاكم زليتن، للمساهمة في أي مهمات قتالية تقررها حكومة الباشا في طرابلس[25]، كما جرى ذلك عندما أعدت حملة للقضاء على التمرد ببنغازي 1817م الذي قاده ابن الباشا محمد، بحيث تمكن يوسف باشا من إرسال قوة قوامها 500 مقاتل بقيادة ابنه أحمد مزودة ببعض المدافع، والتي أصبحت قوة بفضل ما توفر لها من مقاتلين وتموين حصلت عليه من زليتن والخمس ومصراتة، بحيث بلغت القوة الجديدة المنضمة للبك أحمد حوالي ثمانمائة فارس، بعضهم من العناصر الزنجية والبعض الآخر من المرابطين[26]، بما في ذلك أولاد الشيخ عبد السلام الأسمر.

لقد اختير من بين المتدربين العسكريين من أهالي زليتن أناس ليس للخدمة في الجيش القرمانلي في عملياته البرية وحسب، بل وللخدمة في عمليات الجيش البحرية في عرض المتوسط ضد الأراضي والسفن المسيحية، وخاصة مع تنامي القوة البحرية في عهد الباشوات الأقوياء، الذين فرضوا أنفسهم في المحيط الإقليمي مثل أحمد الأول وابنه محمد وحفيد الأخير يوسف، فالأخير كان يمتلك قوة عسكرية بحرية تسترعي العمل على متن القطع البحرية من سفن وزوارق وغليوطات قرابة1400رجل حسب إحصاء سنة 1824م الخاص بمجموع قوات الباشا البحرية والقطع البحرية التي تمتلكها تلك القوات[27]. كما اختير من أهالي زليتن بعض المهرة في صيانة السلاح والذخيرة، للعمل والإشراف على مخازن البارود والذخيرة في العاصمة طرابلس، وصيانة وإصلاح الأسلحة فيها[28]. وبالتالي كانت هذه المكانة والإمكانيات البشرية والعسكرية كفيلة بالقضاء على أي تمردات في المنطقة، أو عونا للعمليات الحربية التي قد توجه صوب أي منطقة طرابلسية، ضمن مهام دفاعية أو هجومية وفق مقتضيات الحال.

---

[22] بيتشي، مصدر سابق، ص77. بلغ عدد سكان زليتن وفق إحصائيات جمعت في العهد العثماني الثاني حوالي 38042 نسمة، أنظر: محمود ناجي، مصدر سابق، ص15.

[23] محمد امحمد الطوير، ثورة عبد الجليل سيف النصر ضد الأتراك العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب1831-1842م ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى سنة 1911م، ج/1، تأليف مجموعة من الأساتذة والباحثين إشراف: صلاح الدين حسن السوري وسعيد علي حامد، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط/1 ،2011، ص621. وعن الإعفاءات الضريبية في طرابلس الغرب خلال الحكم العثماني أنظر: عقيل محمد البربار، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث، دار الحكمة، طرابلس، ط/2، 2009، ص97-141.

[24] كولا فولايان، مرجع سابق، ص82-85.

[25] Abbassi, Ail, Travels of Ali Bey, in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria, and Turkey, Vol. 2 of 2: Between the Years 1803 and 1807, Philadelphia: printed for John Conrad, at the Shakespeare Buildings, James Maxwell, Printer. 1816,pp250-290.

أنظر ترجمة الجزء المتعلق بليبيا عند قاسم الجميلي، صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،2003، وعند خالد محمد الهدار، زيارة الرحالة الأسباني علي بك العباسي لطرابلس في أوائل القرن التاسع عشر، مجلة تراث الشعب، العدد: 1-2، 2003؛ رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص28، 231.

[26] باولو دي لاشيلا، مصدر سابق، ص41-42، 45؛ كوستانزيو برنيا، طرابلس من 1510 إلى 1850م، تعريب: خليفة محمد التليسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط/1 ،1985، ص269-271.

[27] إتوري روسي، مصدر سابق، ص417. وفيما يبدو أن المحاربين من زليتن كانوا دائما في غزو مستمر حتى أن المتعارف عليه عند عودتهم إلى ديارهم وهم يحملون غنائمهم تتسابق الجواري على طهي الطعام لهم مقرونا ذلك بأهازيج وأغاني شعبية بالمناسبة. أنظر: جون فرانسيس ليون، من طرابلس إلى فزان مذكرات الرحالة الإنجليزي جون فرانسيس ليون1818م، ترجمة: مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس،1976م، ص249.

[28] حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/2، ص205.

كانت أوليات السياسة العامة للحكم القرمانلي أيضا إعادة هيكلة الإيالة إداريا بما تتطلبه المرحلة من بسط السيطرة وإحكام القبضة على مدن وقرى الإيالة. زليتن بحكم موقعها الجغرافي المميز كانت متطلبات الأمر في معظم فترات الحكم القرمانلي منحها نظاما إداريا خاصا، يتمتع باستقلالية إلى حد كبير عن غيرها من المدن والبلدات الساحلية والجبلية المجاورة لها؛ فقد عين لها حاكم عسكري يعرف بالقائد، وهو أحد مماليك الباشا[29]، وأحيانا كانت زليتن إداريا ضمن منطقة مصراتة التي يحكمها مايعرف بالآغا (قائد الجند)، وهو ممثل الباشا في حكم المنطقة، ويجمع بين يديه السلطات القضائية والتشريعية والعسكرية[30].

كان الحاكم في زليتن عسكريا كروغليا، يعين بدقة وفق شروط خاصة من قبل باشا طرابلس[31]، ويحمل لقب البك في بعض الأحيان، وهي سياسة درج عليها الباشوات قبل نهاية حكم علي باشا القرمانلي1754-1793م، من حيث إرسال نائب عن الباشا لكل مدينة مثل زليتن يعرف بالبك[32]. كان حاكم زليتن محاطا بقوة ضاربة من الحرس ناهيك عن فرقة نظامية من الكراغلة والمتطوعين من أهالي زليتن، يعاونه مجلس هو في الواقع حكومة مصغرة مماثلة للحكومة الأم في العاصمة طرابلس، بحيث يعين المسئولين فيها كالخزندار رئيس الخزينة والقاضي وشيخ البلدة وجامع الضرائب المسئولون في طرابلس وعلى رأسهم الباشا أو نائبه المعروف باسم الكيخيا[33].

لقد اختير مقر عمل البك أو الآغا أو القائد حاكم زليتن وكبار خواصه ومستشاريه بما يعرف بالقلعة أو قصر الحكومة فيما بعد، وكان غاية في فن البناء والعمارة، ويوجد بالقرب من مركز الحكم ينبوعان ماؤهما عذب جدا، يشكلان بحيرة صغيرة، وهي على مرمى حجر من ضريح الولي الصالح عبد السلام الأسمر[34]. كانت القلعة مبنية بالحصى والرمل على الطراز العربي في العمارة المتعارف عليه حينذاك، واختير يوم الجمعة يوما للتسوق والتجمهر أمام القلعة[35]، وربما اختير يوم الجمعة للتسوق والصلاة بالقرب من مبنى القلعة، حتى يكون بمقدور القائد أو حاكم زليتن إيصال رسائله وتعليماته لأكبر قدر ممكن من مواطني زليتن بكل سهولة ويسر.

وكان لفاعلية إيصال تلك التعليمات ولقاء زعامات قبلية وشخصيات من مختلف قرى ومناطق زليتن وتأكيد تبيعتهم للباشا القرمانلي وتحصيل الضرائب والهبات منهم، ومحاولة ضمان استمرار الولاء من أولاد الشيخ عبد السلام الأسمر وكل أتباع المرابطين خصص الثلاثاء يوما للتسوق والتجمهر أمام ضريح الأسمري[36]. ولما كان مقام ضريح الأسمري مقصدا للزيارة والتجمع العائلي من داخل زليتن ومن خارجها[37]، وخاصة في أيام الجمع والمناسبات الدينية فقد اعتنى جل مسئولي الإدارة القرمانلية في زليتن بمبنى الأسمري عناية كبيرة، وكل المرافق التابعة من مسجد وفصول دراسية ودورات مياه ومقبرة، وطال الإحسان أولاد الشيخ ومقام الأسمري والأراضي والأشجار الموقوفة ونحوها[38].

كان الإبقاء على استقلالية المكون الاجتماعي والإداري لزليتن ضروريا، رغم أي تطورات وتحت أي ظرف سياسي نهجا درج عليها جل الباشوات في طرابلس، وإن كان في عهد الباشا الخامس يوسف1797-1832م أكثر وضوحا، وانتهجت سياسة لتخدم السياسات الاستراتيجية العامة للباشوات القرمانليين، من خلال خلق كيانات إدارية صغيرة ذات استقلالية، ترتبط بمقر السلطة بطرابلس مباشرة[39]؛ خوفا من تمردها على الباشا وإعلانها الاستقلال التام عن طرابلس. والشواهد

---

[29] جون فرانسيس ليون، مصدر سابق ص248-249.

[30] باولو دي لاشيلا، مصدر سابق، ص45. كولا فولايان، مرجع سابق، ص85-86.

[31] جون فرانسيس ليون، مصدر سابق، ص248-249؛ رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص29.

[32] ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص60؛ عمر علي بن إسماعيل، مرجع سابق، ص163.

[33] رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص29-30، 134-135؛ ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص95-97؛ محمد عمر مروان، سجلات محكمة طرابلس الشرعية1174-1271ه/1760-1854م دراسة في مصدر تاريخي، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، طرابلس،2003، ص271-272.

[34] محمود ناجي، مصدر سابق، ص97-98.

[35] جون فرانسيس ليون، مصدر سابق، ص248.

[36] المصدر نفسه، ص248.

[37] محمود ناجي، مصدر سابق، ص97-98.

[38] جون فرانسيس ليون، مصدر سابق ص248؛ بيتشي، مصدر سابق، ص79-80؛ الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص164-165.

[39] محمود ناجي، مصدر سابق، ص168؛ إتوري روسي، مصدر سابق، ص404؛ كوستانزيو برنيا، مصدر سابق، ص280-281.

لهذا الخوف كانت ماثلة للعيان، فإقليم فزان ظل كوحدة إدارية وسياسية مستقلة رغم ضعف حكم أولاد محمد حتى سنة 1813م، عندما أخضع بالكامل لحكم يوسف باشا بطرابلس، وكيان بنغازي الإداري وبعدها عن العاصمة طرابلس كان كفيلا بإعلان التمرد واستقلالية إقليم برقة عن طرابلس في أكثر من مناسبة[40]. والثورات التي ظهرت أوائل الحكم القرمانلي أو أواخره ومن قبله العهد العثماني الأول كانت مصراتة وسرت وزليتن وساحل الأحامد وما يسمى فيما بعد بالخمس وضواحيها ومسلاتة وترهونة وورفلة كانت تجد صداها عند معظم سكان هذه المناطق ضد السلطة في طرابلس، استرعت انفاق أموال طائلة وخوض حروب منهكة، للقضاء عليها وإرجاع هذه المناطق للحكم في طرابلس[41].

لذا قفزت مكانة زليتن في هذه الظروف عند الباشوات القرمانليين، فيوسف باشا خوفا من وقوع زليتن تحت سيطرة الثائرين وحال سماعه بإعلان عبد الجليل سيف النصر زعيم قبيلة أولاد سليمان الثورة على الحكم القرمانلي في بني وليد، وقتله لبعض مقاتلي مناطق زليتن ومصراتة والساحل بتاريخ 11جمادي الاخر1247ه/18 نوفمبر1831م[42]؛ كان حريصا على الأبقاء على زليتن ضمن دائرة نفوده، فأرسل إليها شخصيات من طرفه، وجرد حمله أرسلت من طرابلس ضمت مقاتلين من خيرة منتسبي الجيش القرمانلي من كراغلة الساحل والمنشية، وضمانا لتحقيق نصر حاسم وسريع على الثوار واسترجاع هيبة الباشا في زليتن وجوارها زودت الحملة بأسلحة متقدمة في عصرها، ومن أهمها المدفعية وكميات من الذخائر للبنادق المسلح بها رجال الباشا[43].

وعندما تزايد خطر ثورة عبد الجليل سيف النصر في العام التالي، وتجددت في شهر يوليو1832م جاءت الأخبار للباشا 4ربيع الأول1248ه/ 1أغسطس1832م بعزم الثوار الزحف على طرابلس من الشرق، وأنهم يحضون بتأييد معظم أهالي زليتن ومصراتة وساحل الأحامد، الذين كانوا يترقبون وصولهم للانضمام إليهم[44]، هنا أجرى يوسف باشا تغييرا في القيادات العسكرية وإالإدارية لعدة مناطق كان متوقعا خطر خروجها من قبضته ومنها زليتن، بحيث استبعدت فكرة تعيين مسئولين من كبار ضباط الكروغلية أو من كبار المماليك كما كان الحال عليه في السابق، وعهد الباشا إلى أبنائه من صلبه بتولي الأمور مباشرة والقضاء على الفتن؛ فكانت مصراتة من نصيب مصطفى والخمس من نصيب عثمان، وعين لحكم زليتن وسياسة الأمور فيها إبراهيم أبرز أبناء يوسف باشا وأكثرهم مقدرة على إدارة الأمور[45].

استهل البك إبراهيم مهامه على الفور، وسار بحرا في الثاني من أغسطس 1832م إلى زليتن على ظهر سفينة القبطان عمر الشلي، الذي قادها بنفسه مصطحبا ابنه محمد، لمساعدته في مهمة نقل البك وخيوله وحرسه وبعض الأسلحة التي زود بها من قبل يوسف باشا؛ لتنفيذ مهام عمله ومواجهة الخطر المحدق بزليتن ومن بعدها عاصمة الإيالة طرابلس[46].

ولما استفحلت ثورة عبد الجليل سيف النصر وسيطر وتحصن في بني وليد اضطر يوسف باشا لاستدعاء قوات من

---

[40]كولا فولايان، مرجع سابق، ص74-81. وللمزيد عن دولة أولاد محمد بفزان أنظر:

Habib W Hasnawi, " Fazzan under the Rule of the Awlad Muhammad, A study in Political, Economic, Social and Intellectual History," ph.D.Thesis, London of Universty, 1986.

[41] انظر على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره، شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع مقدمتها النقدية محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط/3، 1994، ص131-134، 277-278. إتوري روسي، مصدر سابق، ص239-243، 309-313.

[42] حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/1، ص561. للمزيد عن قبيلة أولاد سليمان وثورة عبد الجليل سيف النصر أنظر:

Dennis D. Cordell, The Awlad Sulayman of Libya and Chad: Power and Adaptation in the Sahara and Sahel, Canadian Journal of African Studies, Vol19, No2, 1985, pp325-343.

أيضا: محمد امحمد الطوير، مرجع سابق، ص607-639.

[43]حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/1، ص561.

[44] المصدر نفسه، ج/2، ص36-38، 43-44 ،49.

[45] محمود ناجي، مصدر سابق، ص168؛ إتوري روسي، مصدر سابق، ص404؛ كوستانزيو برنيا، مصدر سابق، ص280-281؛ عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام أدهم، دار الفرجاني، القاهرة- طرابلس- لندن،1991، ص176-177.

[46] حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/2، ص39؛ علي مصطفى المصراتي، رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وتونس، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، ط/2 ،2009 ص153-154.

الكروغلية والمرابطين من زليتن، إسوة بما طلب من مصراتة والخمس كان ابنه ابراهيم قد جهزها في وقت سابق، بحيث أسندت للأخير مهمة قيادتها، وعندما أمرت بالتحرك صوب بني وليد التحمت مع الفرقة الأخرى المؤلفة من كراغلة وأهالي الزاوية والساحل والمنشية، والتي كانت بقيادة نجل الباشا علي، بحيث تألف الجيش القرمانلي من حوالي عشرين ألف مقاتل، مزود بأسلحة متعددة ومتنوعة، منها خمسة عشر مدفعا، وقد ألحق هذا الجيش هزائم بقوات عبد الجليل في بني وليد بعد عدة معارك واشتباكات، أثبت فيها مقاتلو الفرقة المكونة من مقاتلي منطقة مصراتة بما فيها زليتن والخمس شجاعة وبسالة نادرة، أسهمت في استبسال قادتهم في المعركة حتى قتل أو أصيب بعض أولئك القادة بجروج متفاوتة الخطورة بما فيهم قائدهم إبراهيم ابن الباشا نفسه[47].

ونظرا لعدم قدرة الباشا وقواته والأهالي على تحمل مزيد من أعباء الحرب مع مراوغة عبد الجليل سيف النصر في مفاوضاته مع يوسف باشا رغم وساطات شيوخ بعض القبائل فشلت الحملات القرمانلية في القضاء على ثورة عبد الجليل سيف النصر، واضطرت معظم قوات الباشا التي كانت بقيادة ابنه علي للانسحاب من بني وليد، والتحصن في زليتن، حيث بقيت فيها عدة أيام قبل أن يقرر علي ابن الباشا العودة إلى طرابلس[48]. للتشاور مع والده فيما يجب عمله. وبسبب الشيخوخة وتافقم وتردي الأوضاع العامة في الإيالة وخاصة المناطق الغربية تنازل يوسف باشا عن الحكم لصالح ابنه علي1832-1835م[49]، ليكون الأخير الأصغر سنا والأقصر عمرا في سدة الحكم، مقارنة بمن سبقوه من الباشوات القرمانليين، الذين تناوبوا على كرسي الحكم في طرابلس منذ سنة 1711م.

كانت زليتن ضمن دائرة اهتمام الباشا الجديد الذي أراد السير على ذات السياسة التي انتهجها والده من قبل، والمثمتلة في الإبقاء على زليتن ضمن دائرة حكمه والحيلولة دون سقوطها في يد الثوار، وبالتالي السيطرة على مقدراتها وإمكانياتها الاقتصادية والاستراتيجية، فحال تسلم الباشا الجديد الحكم ومبايعة العلماء والفقهاء وكبار الأعيان والضباط أرسل بتاريخ17ربيع الأول1248ه/14أغسطس1832م خطابات وجوابات إلى أهالي زليتن، اختير لنقلها أناس كانوا يحضون بمكانة لدى الباشا وأهالي زليتن، شرح لهم فيها مستجدات الوضع في العاصمة طرابلس، ودعاهم للاعتراف به باشا لإيالة طرابلس، طالبا إعانتهم في مشروع إعادة النظام للبلاد، والسمع والطاعه وتنفيذ أوامره والتقيد بتوجيهاته[50].

وعلى الرغم من نجاح الباشا الجديد في استمالة أهالي زليتن في بعض الأحيان لكن هؤلاء كانوا ينضمون لإخوانهم الثائرين حال سنوح الفرصة، وربما خوفا من انتقام زعماء الثوار منهم، وبالتالي كان أهالي زليتن يتأرجحون بين الولاء وإعلان العصيان، فمثلا بتاريخ 17ذي القعدة1248ه /7أبريل 1833م كانت الأخبار التي وصلت إلى علي باشا في طرابلس جد مطمئنة، مفادها أن أهالي زليتن كما هو حال إخوانهم في مصراتة والخمس ليسوا موالين لأبناء الباي محمد الذين ينازعون عمهم الباشا الحكم؛ فسارع علي باشا لاختيار ثلاثة من كبار رجال مخابراته وأرسلهم بتاريخ13دي الحجة1248ه/3مايو1833م في قارب يملكه البحار صالح زعيط إلى زليتن، وزودوا بجوابات تدعو أهالي زليتن للاستمرار في الولاء والسمع والطاعة لعلي باشا[51].

نجح رجال الباشا في مهمتهم، فالأخبار التي وصلت في الشهرين التاليين وتحديدا في9صفر1249ه/ 28يونيو1833م لإرسال ذاك الوفد إلى زليتن أكدت أن معظم أهالي زليتن ومصراتة والخمس يؤيدون الباشا علي ولا يعترفون بغيره حاكما للبلاد، وتأكيدا على هذا تزاحمت خلال هذه الفترة الأخبار والوفود وقوافل التجارة بحرا وبرا من زليتن وجوارها على طرابلس، لتعزز المعلومات والتقارير التي تؤكد نجاح علي باشا في استرجاع زليتن بشكل خاص والمناطق المجاورة لها بشكل عام لسابق عهدها في دعم خزينة الباشا بالعاصمة طرابلس، وتسهيل سبل وصول الضرائب والمنتوجات

---

[47] رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص231-232. قارن مع إتوري روسي، مصدر سابق، ص404-405؛ إسماعيل كمالي، مصدر سابق، ص48-53.

[48]خطابات القنصل الفرنسي شوبيل لحكومته بتاريخ 26فبراير12أبريل1832م نقلا عن: رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص232-233؛ إتوري روسي، مصدر سابق، ص405.

[49]رسالة علي باشا القرمانلي لمحمد بيت المال بتاريخ25ربيع الاول1248هـ/ 22 أغسطس1832م، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات الوثائق العربية وثائق الملف رقم24 حسن الفقيه حسن، الوثيقة رقم16.

[50] حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/2، ص53-55.

[51]المصدر نفسه، ج/2، ص252، 271.

الزراعية والحيوانية وكافة البضائع التجارية، وكان كبار الزعمات القبلية كالريس خليفة الفرجاني وعبد الصمد بوشينة وسليمان بورقيقة نقلوا جوابات التأييد للباشا من زليتن وساحل الأحامد، وشحنت سفنهم بحمولات من الماشية والحبوب وبعض المنتوجات الأخرى[52].

وتعزيزا لهذا وضمانا وتعبيرا عن الولاء للباشا وصدق النوايا تجاهه وافق الأهالي والقبائل في زليتن وجوارها على إرسال عشرة من كل قبيلة كرهائن، أرسلوا للإقامة قرب الباشا وتحت حراسة رجاله في قلعة طرابلس، وقد نقل هؤلاء بغليوطة كانت أرسلت في وقت سابق إلى ساحل الأحامد، ثم غادرت مرسى الطويبة فوصلت طرابلس في 11ربيع الأول1249ه/29يوليو1833م، مصحوبة بزعامات وكبار تجار أبلغوا الباشا أن أهالي زليتن والساحل مؤيودن للباشا، وأنهم يريدون من الباشا إرسال السفن والقوارب، ليكون بمقدورهم تصريف منتوجاتهم إسوة بأهالي الزاوية والمناطق المجاورة لها؛ فاستجاب علي باشا فورا لرغبات الأهالي في الساحل وزليتن فأرسل غليوطة جديدة إلى المنطقة بحيث حال فراغ رسل الباشا من أداء المهام في زليتن عادوا الى طرابلس على ذات الغليوطة، التي وصلت ميناء طرابلس بتاريخ20ربيع الأول1249ه/7أغسطس1833م حاملة معها أحد عشر رجلا معظمهم من زليتن، وكانوا تجارا تمكنوا من تصريف تجارتهم التي هي من الحبوب كالقمح والشعير في السوق الرئيسي في مدينة طرابلس، وأكدوا للباشا حقيقة الوضع جهة زليتن وتمركزات ومواقع زعامات القبائل المؤيدة للباشا في الساحل وزليتن، في المقابل أشاروا إلى أن خصمه الباي محمد محاصر في قلعة زليتن من قبل المقاتلين التابعين للباشا، مما لن يكون في وسعه التواصل مع أتباعه ومواصلة الحرب ضد الباشا الشرعي[53]. وفي 13 من ذات الشهر وصلت أخبار أخرى مفادها أن مقاتلي الباشا علي وأتباعه بقيادة المريض وبورقيقة قطعوا الطريق بين ساحل الأحامد وزليتن، فأرسل إليهم علي باشا مساعدات تموينية وحربية كالمدافع المتطورة في عصرها في غليوطة بقيادة نجل الحاج ساسي بتاريخ 29ربيع الأول1249ه/16أغسطس1833م، ونقلت الغليوطة أيضا بعض الذخائر التي سحبت في وقت سابق[54]؛ خشية وقوعها في أيدي الثوار استعدادا لمجابهة أية تطورات قد تحدث في حال خروج زليتن من سيطرة علي باشا.

وحال إيصال الغليوطة لهذه المهمات لم تمكث كثيرا في المنطقة فقد أبحرت ثانية نحو طرابلس، فوصلتها في5ربيع الثاني1249ه/22أغسطس1833م محملة بمنتوجات متنوعة من الفواكه والخضروات والحبوب وبعض الخراف والأبقار، ونقلت أخبارا مفادها هذه المرة خروج الباي محمد من زليتن، لكن مصادر تلك الأخبار لم تجزم في حينها مكان تمركز الباي محمد، فبعضها أشار لتحصنه في أحد الأضرحة شرقي ساحل الأحامد، والبعض الآخر أشار إلى تنقله مع قلة من رجاله بين زليتن وساحل الأحامد ومسلاتة[55]. بحثا عن الاتباع والمؤيدين، ودونما جدوى؛ فمعظم القبائل والاتباع كانوا قد وقعوا على تحالفات قبلية مع الباشا، وحتى خصم القرمانليين عبد الجليل سيف النصر لم يشأ الدخول في حرب مع علي باشا، بل تصدى لأحد قادة التمرد القرمانلي المعادي للباشا وهو الآغا عصمان في مسلاتة، وألحق به هزيمة دفعت بعصمان للهروب من مسلاتة والتحصن بزليتن، لكنه لم يجد تأييدا من أهالي المدينة، لأن هؤلاء آثروا الاستمرار في تأييد علي باشا إسوة بإخوانهم في المناطق المجاورة، بل العكس كانوا على تواصل مع كبار الأعيان في ترهونة وساحل الأحامد، لنقل موقفهم للباشا في قلعته بطرابلس، وحرصهم على البقاء في طاعة الباشا، وعدم نكوصهم وموالاتهم لأي من الخارجين عنه، سواء من قادة الثوار أو من المنشقين من البيت القرمانلي الخارجين عن طاعة علي باشا القرمانلي نفسه[56].

لقد بذل علي باشا جهودا كبيرة لانهاء التمردات والانشقاقات في عدة مناطق من أبرزها زليتن، وواستغل وجود زعيم الكراغلة محمد شلبي بيت المال في زيارة كان يقوم بها إلى بني وليد والرقيعات والعلاونة وطلب منه القيام بتهدئة الوضع

[52]المصدر نفسه، ، ج/2، ص274، 306، 309، 321.

[53]المصدر نفسه، ج/2، ص189، 328 ،335، 340 ،343

[54]المصدر نفسه، ج/2، ص335، 340- 341.

[55]المصدر نفسه، ج/2، ص335، 349، 358.

[56]المصدر نفسه، ج/2، ص405-406، 436.

والعمل على إقناع الأهالي بالتخلي عن دعم الثوار والوقوف مع علي باشا[57]، لكن محمد بيت المال لم يستجب لطلب الباشا، بل غادر هذه المناطق وارتحل قاصدا زليتن أوائل سنة 1834م، حيث مكث بها فترة يتواصل مع زعماء القبائل وقادة الثوار بما فيهم عبد الجليل سيف النصر، لاتخاذ موقف موحد من الأحداث المتسارعة التي تشهدها إيالة طرابلس بعد تنازل يوسف باشا عن الحكم[58]. يؤكد هذا على أن زليتن أصبحت مركزا مهما لإدارة العمليات في المنطقة الوسطى في الصراع الدائر بين مناصري الباشا ومعارضيه، في حين أن الخبرة التي كان يحملها محمد شلبي بيت المال ومعرفته بحقيقة الوضع المتفاقم في طرابلس والتأكيدات التي كان قد تحصل عليها من بعض الحكومات الغربية والدولة العثمانية من أن الحكم القرمانلي المترنح لم يعد مقبولا، وأن أيام زواله باتت معدودة فإن بيت المال ليس مستبعدا أنه كان من أبرز المحرضين لزعماء القبائل في زليتن وغيرها لإعلان العصيان النهائي ضد الحكم القرمانلي[59]، خاصة وأن أهالي زليتن وأهالي إيالة طرابلس الغرب قاطبة باتوا يدركون أكثر من أي وقت مضى أن علي باشا لم يعد بمقدوره السيطرة على الوضع، وبالتالي فإنهم قد سئموا هذه الحال، واتخذوا كل ما من شأنه إنهاء الفوضى بطرابلس الغرب[60]؛ لذا كان أعيان ووجهاء زليتن من ضمن الذين وقعوا على برقيات بتاريخ 1جمادي الثاني 1250ه/5 أكتوبر1834م، وجهت إلى معظم القناصل الأوربيين المعتمدين في طرابلس، يطلبون منهم إقناع الباب العالي عن طريق حكومات بلدانهم وسفرائهم بأسطنبول لإعادة السيطرة على طرابلس، وإخضاعها للدولة العثمانية مجددا، وتخلصهم من هذه الفتنة[61].

استجابت الدولة العثمانية لهذه الطلبات، حيث أرسلت سنة1835م وال عثماني، زود بفرقة عسكرية نجحت في السيطرة على الأماكن الحيوية في العاصمة طرابلس، وألقت القبض على الباشا وكبار مساعديه عن طريق خديعتهم بالصعود لمقابلة القائد العثماني على ظهر سفينة القيادة العثمانية الراسية في ميناء طرابلس[62]. وبهذا انتهى الحكم القرمانلي لإيالة طرابلس الغرب، وتمكنت الدولة العثمانية عبر واليها في طرابلس من إعادة الأوضاع إلى نصابها وارجاع المناطق وكامل الإيالة للحكم العثماني المباشر، ولسلطة طرابلس حيث مقر الوالي العثماني وحاشيته وكبار معاونيه ومستشاريه[63].

ثانيا: المكانة الاقتصادية والمالية:

كان من مدعمات استراتيجية باشوات طرابلس في زليتن السيطرة على مفاتيح الاقتصاد والمال بالمدينة؛ لتعزيز مداخيل الخزينة القرمانلية ولم يكن استغلال سكان زليتن في البادية ومركز المدينة في العمليات الحربية والأمنية الهجومية أو الدفاعية أو اللوجستية كافيا لباشوات طرابلس وممثليهم في زليتن، بل على العكس تماما حدث التقرب من مزارعي وفلاحي وتجار وحرفي وصناع زليتن؛ للاستفادة من إمكانيات المنطقة ومقوماتها الاقتصادية، وفي هذا الجانب تعاظمت مكانة زليتن لدى باشوات طرابلس القرمانليين شئيا فشئيا، مثلما تعاظمت مكانتها الاستراتيجية كما مر بنا آنفا. وفي تصوري حسب المعطيات تمت الاستفادة من زليتن اقتصاديا وماليا من خلال المسارين التاليين:

---

[57]رسالة علي باشا القرمانلي لمحمد بيت المال بتاريخ25ربيع الاول1248هـ/ 22 أغسطس1832م....، مصدر سابق؛ تقرير محمد بيت المال عن زيارته لبعض المناطق بعد تنازل يوسف باشا عن الحكم غير مؤرخ ، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات الوثائق العربية وثائق ملف رقم24 حسن الفقيه حسن الوثيقة رقم24. انظر أيضا: حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/2، ص451، 460-461؛ عزيز سامح التر، مصدر سابق، ص185-186.

[58]حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/2، ص455، 460-461.

[59] عندما أعلن يوسف باشا اعتزال العمل السياسي ونصب ابنه علي باشا لطرابلس كان محمد بيت المال في بنغازي في مهمات أمنية ومالية كان قد كلف بإتمامها من قبل يوسف باشا وحال سماعه بالتطورات المتسارعة في طرابلس غادر بنغازي واستقر به المقام في مالطا، التي اتخذها مركزا لدعم أعداء الباشا الجديد سرا على الأقل، وطبيعيا أن يكون قد التقى بقناصل وضباط مخابرات من عدة دول فاعلة في حوض المتوسط، ونقل لهم رغبات أهالي طرابلس بالعودة للحكم العثماني، وخاصة بعد استيلاء فرنسا على الجزائر والخشية من وقوع طرابلس تحت احتلال أجنبي مباشر، إذا ما استمرت الأوضاع المتفاقمة والسيئة على حالها. للمزيد أنظر: ميكاكي، مصدر سابق، ص246-248.

[60]علي مصطفى المصراتي، مرجع سابق، ص54-59.

[61] انظر نص الرسالة المرسلة بتاريخ 1جمادي الثاني 1250ه/5اكتوبر1834م عند حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/2، ص846-853.

[62] ميكاكي، مصدر سابق، ص258-259.

[63] إتوري روسي، مصدر سابق، ص425-426؛ أيضاً: شارل فيرو، مصدر سابق، ص452-453؛ أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، د.ت، ج/1، ص341-342؛ أيضاً: محمود ناجي، مصدر سابق، ص171-172.

1- المسار الفلاحي والزراعي: وهذا المسار متعلق بالأرض البعلية والمروية على حد سواء، مع العلم أن الأراضي في زليتن كان معظمها ملكا للقبائل والأهالي مرابطين وكراغلة، وكان بعضها وقفا على الأولياء الصالحين، ومن أبرزهم الولي الشيخ عبد السلام الأسمر[64]. وكيفما كان الوضع فإن معظم المصادر التاريخية وكتب الرحالة الذين زاروا مطنقة زليتن خلال العهد القرمانلي أو في فترات تالية أشادوا بخصوبة أرضها وتنوع انتاجها الزراعي[65]. ومع أن جل المصادر التي بين أيدينا لم تعطنا إحصائيات وبيانات عن الانتاج الزراعي وحتى الحيواني خلال العهد القرمانلي لكنها أشارت في مجملها بتنوع ذلك الانتاج ومن مختلف الأصناف، فالخضروات والفواكه كانت متنوعة، وخاصة الكروم العنب والتين وبعض الأعشاب الطبية والنباتات ذات القيمة العالية في استخدامات الأهالي كالزعفران[66]. وكانت الحبوب متنوعة يتصدرها محصولا القمح والشعير، بحيث تزرع منهما مساحات شاسعة وخاصة في السنين المطيرة[67]. تأتي الذرة بعد الشعير والقمح في الأهمية الغذائية، لكنها تتفوق عليهما في كثرة اعتماد الأهالي عليها، وخاصة في السنوات نادرة تساقط الأمطار، حيث تزرع الذرة بكثرة في زليتن كما تزرع في غيرها من المناطق الساحلية الطرابلسية، وكانت المساحات المخصصة لزراعتها في زليتن مسورة بأشجار النخيل[68]. كما كانت الأراضي الموقوفة على الأولياء الصالحين مثل الأسمري مسورة بأشجار الزيتون والنخيل، حيث كان هناك مخازن للغلال من حبوب وثمار وخاصة الزيت والتمر، تجمع فيها ما تنتجه الأراضي والأشجار الموقوفة، ومن ثم تصرف على البناء والعمران والتعليم القرآني[69].

في الواقع كانت الأشجار المثمرة ذات المدخول النقدي وأهمها شجرتا النخيل والزيتون تتصدران الانتاج الزراعي والنباتي في زليتن[70]. المصادر تتفق فيما بينها على اتساع الرقعة المخصصة لزراعة هاتين الشجرتين في زليتن، بل كانت جل البيوت والأرض المخصصة لزراعة الحبوب والخضروات والفواكه مسورة كذلك بتلك الشجرتين، ناهيك عن تخصيص مساحات شاسعة لغرس الزيتون والنخيل والعناية بهما، بحيث بلغت المساحة الإجمالية المخصصة في مناطق متفرقة من منطقة زليتن حوالي ثلاثة أو أربع أميال مربعة[71].

استغلت الأراضي السهلية والجبلية في تربية الحيوانات كالأغنام والماعز والأبقار والإبل والدواجن، وان كانت حرفة الرعي وتربية الحيوانات قد مارسها سكان البادية وضواحي زليتن أكثر من سكان الحضر. كان المنتوج الزراعي والفلاحي بما فيه الانتاج الحيواني بشكل عام قد أتاح فرص إقامة الأسواق الأسبوعية بالمدينة، بحيث كان كما أشرنا آنفا هناك سوقان أحدهما يعقد الجمعة والآخر يعقد يوم الثلاثاء، في هذا السوق عرفت المنتجات المختلفة وأشيد بجودتها واعتدال أسعارها، وكثرة الطلب عليها في السوق المحلي الطرابلسي والأسواق الإقليمية، ولعل من أبرز الأصناف المتداولة في تلك الأسواق كانت التمور والزيوت عالية الجودة، والحبوب بأنواعها والخضروات والفواكه والأصواف والسمن والزبدة والزعفران[72]، ناهيك عن عرض منتوجات من المدن والقرى المجاورة كمصراتة وساحل الأحامد ومسلاتة، ومن الأخيرة كان الزيت منافسا معتبرا لزيت زليتن والمناطق الساحلية المجاورة لها[73]، لم يقتصر الوضع على الأقاليم القريبة وحسب بل كان للمناطق البعيدة مكان معتبر كذلك، فمنتوجات إقليم فزان مثلا وخاصة من التمور

---

[64] جون فرانسيس ليون، مصدر سابق ص248؛ بيتشي، مصدر سابق،، ص79-80؛ الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص164-165.

[65] باولو دي لاشيلا، مصدر سابق، ص40؛ محمود ناجي، مصدر سابق، ص97-98.

[66] إتوري روسي، مصدر سابق، ص252.

[67] حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/2، ص335، 349؛ جون فرانسيس ليون، مصدر سابق ص247-248؛ بيتشي، مصدر سابق،، ص 69، 339؛ الورثيلاني، مصدر سابق، ص184-186.

[68] ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص72؛ جون فرانسيس ليون، مصدر سابق ص247-248؛ بيتشي، مصدر سابق،، ص79-80.

[69] الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص165.

[70] حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/2، ص335. انظر ص349؛ جون فرانسيس ليون، مصدر سابق ص247-248؛ بيتشي، مصدر سابق،، ص 69، 339.

[71] جون فرانسيس ليون، مصدر سابق ص247-248؛ بيتشي، مصدر سابق،، ص78.

[72] حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/2، ص321. ص335، 349 ؛ بيتشي، مصدر سابق،، ص339؛ إتوري روسي، مصدر سابق، ص252.

[73] ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص253؛ شارل فيرو، مصدر سابق، ص340؛ جيرار البروفنصالي، مصدر سابق، ص62.

والدقيق كانت تجد مكانها في الأصناف التجارية بأسواق زليتن[74]، كأصناف مرغوبة من التجار والمستهلكين المحليين الذين كانوا على إدارك تام بحاجة أهالي إقليم فزان للمقايضة بدقيقهم وتمورهم نظرائهم في زليتن وفي مدن الساحل الطرابلسي[75]، والحصول من ثم على منتجات زليتن الزراعية والحيوانية، ناهيك عن المصنوعات والبضائع الرائجة في أسواق زليتن.

كانت الفلاحة والزرعة قد وضعت ضمن الخطوط الريئسية لسياسة باشوات طرابلس تجاه زليتن، فقد كانت المنطقة تغطي جزءا من متطلبات واحتياجات الباشوات القرمانليين الخاصة منها والعامة، فالأراضي والأشجار كانت تفرض عليها ضرائب سنوية بحيث كانت القيمة على الأراضي150ألف قرش، وعن كل شجرة مثمرة حوالي 5 صولدي[76]، بل إن زليتن ومصراتة وساحل الأحامد كانت ملزمة بدفع1500 زكيني لابن الباشا المسئول عنها، ناهيك عن الهدايا والرسوم الأخرى والغرامات التي كان ابن الباشا يوقعها في حق المتعثرين والمتأخرين في سداد ماعليهم من ضرائب والتزامات مالية وعينية للباشا وابنه الحاكم الفعلي للمنطقة[77].

2- الحرف اليدوية والتجارة والمال: وهذا استغل فيه عنصران مهمان من السكان، الأهالي وهم قلة لممارستهم النشاط الفلاحي والزراعي والرعوي بشكل أساسي، وكثرة وهم طائفة اليهود بالمدينة، وان كانت قليلة العدد كثيرة الإمكانيات. وطائفة اليهود هذه التي تركنا الحديث عنها سابقا كان جل أفرادها قد استقطبوا من عدة مناطق بالسلطنة العثمانية أو من دول أوربا، وربما فروا من الاضطهاد الذي مورس في حقهم بدءا من تنامي الأعمال العدائية التي أفضت إلى طرد المسلمين من الأندلس والمذابح التي ارتكبت في حقهم بعد سقوط غرناطة 1492م[78]. ناهيك عن السياسات التي انتهجت في حق اليهود في الولايات العثمانية المجاورة لطرابلس، دفعتهم للاستقرار والعيش في جل المدن الساحلية الطرابلسية. على الرغم من أن اليهود كانوا عنصرا ممقوتا من قبل جل أهالي المدن الطرابلسية[79]؛ الأمر الذي دفع بالطائفة اليهودية للانغلاق وتكوين مجتمعات خاصة، سميت بالحارة في المدن الطرابلسية التي كانت تقطنها جالية يهودية[80].

لقد استقدم أفراد الطائفة اليهودية وزيد عددهم في الإيالة الطرابلسية من قبل باشوات طرابلس في العهد القرمانلي، ومكنوا من ممارسة أنشطة عدة، ففي زليتن ازداد عدد اليهود واستفادوا من مكانتهم التي جعلت باشوات طرابلس يقربونهم[81]. وفي عهد يوسف باشا استقدمت أفواج جديدة من اليهود بشكل لافت عن ذي قبل، ومنحوا امتيازات خاصة وحضوا بمكانة لدى الباشا؛ للاستفادة من أموالهم ونشاطاتهم المختلفة واتقانهم للحرف والصناعات اليدوية والأعمال المالية ونحوها[82].

لقد سجلت الإحصائيات ارتفاع عدد اليهود الإجمالي بالإيالة إلى قرابة ألفي يهودي أوائل القرن التاسع عشر الميلادي أي في عهد يوسف باشا، وكان جلهم من الطبقة الثرية في الإيالة[83]، مقارنة بعددهم أواخر العهد العثماني الأول، حيث كان العدد لايزيد عن ألف ومائتي يهودي، يقطن معظمهم العاصمة طرابلس، وكان معظمهم من المعدمين والفقراء[84]. كانت زليتن مكانا مناسبا لتقوية مركز الطائفة اليهوية فيها، بحكم قوة العلاقات بينها وبين مكونات المجتمع الطرابلسي الأخرى،

---

[74] بيتشي، مصدر سابق،، ص77؛ ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص270.

[75] علي عبد اللطيف حميدة، مرجع سابق، ص78.

[76] كوستانزيو برنيا، مصدر سابق، ص272.

[77] تقرير قنصل نابولي بطرابلس بيترو سولير حول تجارة الإيالة ومداخيلها يناير1790م خلال حكم علي باشا القرمانلي انظر نص التقرير كاملا عند: امحمد سعيد الطويل، مرجع سابق ص472-481.

[78] إتوري روسي، مصدر سابق، ص341.

[79] رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص206-207؛ شارل فيرو، مصدر سابق، ص500-501.

[80] إتوري روسي، مصدر سابق، ص341؛ هارفي جولدبرج، حياة اليهود في ليبيا المسلمة بين التنافس والقربى، ترجمة: محمد عمران أبوميس، دار الفرجاني، طرابلس، ط/1 ،2016، ص49.

[81] رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص124؛ إتوري روسي، مصدر سابق، ص341.

[82] بيتشي، مصدر سابق،، ص81؛ رودلفو ميكاكي، طرابلس مصدر سابق، ص133-134. 206-207؛ هارفي جولدبرج، مرجع سابق، ص50.

[83] عمر علي بن إسماعيل، مرجع سابق، ص192.

[84] جيرار البروفنصالي، مصدر سابق، ص116.

فقد كانت الطائفة اليهودية مكونا مهما من مكونـات سكان المدينـة[85]، ولكنـه كـان قليـل العـدد تسيطر عليـه فئـة السكان المنتمية للمرابطين وأولاد الشيخ عبد السلام الأسمر بشكل أساسي[86].

ومع تنامي الاقتصاد القرمانلي رغم الأزمات والحروب الأهلية في أواخر حكم يوسف باشا القرمانلي وخلفه علي فإن طائفة اليهود في زليتن ازداد عددها مع استقرار الأوضاع العامة في إيالـة طـرابلس الغـرب، بحيـث سـجلت الاحصـائيات العثمانية أوائل العهد العثماني الثاني أن مجموع عدد الطائفة اليهودية في زليتن وحدها بلغ 644 نسمة، كانت فئـة الـذكور الأكثر عددا، وهم القادرون بطبيعة الحـال علـى ممارسـة التجـارة والحـرف اليدويـة[87]، مقارنـة بفئـات النسـاء والأطفـال والعجزة، مما يؤكد على أن عدد اليهود في زليتن إبان الحكم القرمانلي كان معتبرا والنشاط اليهـودي المـالي والاقتصـادي كان فعالا.

لقد استحود اليهود وقلة من المهرة والصناع والحرفيين والتجار على جل النشاط الحرفي والتجاري بالمدينة ومنطقة زليتن بشكل عام[88]، وكانت الصناعات الحرفية القائمـة علـى نبـات القصـب والحلفـا وسـعف النخيـل والـديس المنتشـرة بـزليتن متميزة، فالصـناعات الحرفية اليدوية وخاصـة صـناعة القـلال والحصـر التـي تميـزت بهـا زليـتن كـان ذات جـودة عاليـة، وشهدت رواجا في السوق المحلي والدولي، بحيث كانت الحصر الزليتنية الأغلى سعرا في السوق المحلي والإقليمي نظـرا لجودتها وحسن صناعتها[89].

ولما كانت زليتن تستورد الأقمشة من طرابلس العاصمة بشكل أساسي وتجد هذه السلعة سوقا رائجة في أسواق المدينة[90] فإن صناعة الملابس والأزياء الشعبية القائمـة علـى الأقمشـة الطرابلسـية والصـوف كصـناعة الجـرود والحـولي والعبـاءة ونحوها قد نشطت في زليتن وبشكل كبير[91]. وكانت بعض البلدان المتوسطية كتونس تعتمد علـى زليـتن وإيالـة طـرابلس في سد حاجياتها من هذه المصنوعات[92]، كما تشكل مصنوعات زليتن هـذه رافـدا مهمـا للسـوق المحلـي الطرابلسـي مـن الأزياء والملابس الشعبية، التي تشكل أهمية بالغة في لباس سكان الإيالة الحضر منهم والبدو على حد سواء.

في المجال الحرفي الصناعي الأكثر رواجا ومارسه اليهود بشكل أساسي مع قلة من أهالي المنطقة كانت صـناعة الخمـور والنبيذ، وقد أجاد اليهود هذه الحرفة إجادة تامة؛ فإذا كان بعض الأهـالي يسـتخرجون شـراب اللاقبـي مـن النخيـل[93] فـإن اليهود كانوا يعصرون البلح ويسـتخرجون منـه نوعـا مـن الخمـور يجـد رواجـا فـي السـوق المحلـي والإقليمـي لطـرابلس الغرب[94]. وبتشجيع من قبل باشوات طرابلس وخاصة أيام حكم علي باشا القرمانلي1754-1793م، فقد كان هذا الباشـا مولعا بالخمور وتجارتها، واستفاد كما استفاد من جاء من بعده من الباشوات من هذه التجارة ومـن مـداخيلها اسـتفادة ماليـة كبيرة، قدرت بحوالي مائتي ألف فرنـك سـنويا أو مايعـادل خمسـة عشـر ألـف قـرش، ومـن هنـا انتشـرت تجـارة الخمـور والمشروبات الكحولية وتجارتها في الإيالة الطرابلسية، وزليتن بشكل خاص[95].

لقد هيمن اليهود أيضا وبشكل أساسي على صناعة وتجارة المعادن الثمينة كالذهب والفضة في زليتن، ناهيك عن الاستفادة من حركة التداول في سوق المال وتجارة الذهب والفضة والمضاربات المالية وحتى الربوبية، والأخيرة كان يتقنها اليهـود

---

[85] بيتشي، مصدر سابق،، ص81.

[86] باولو دي لاشيلا، مصدر سابق، ص40.

[87] محمود ناجي، مصدر سابق، ص15.

[88] هارفي جولدبرج، مرجع سابق، ص51، 56-59.

[89] بيتشي، مصدر سابق،، ص78؛ محمد عمر مروان، مرجع سابق، ص92. ص279-281.

[90] إنعام محمد سالم شرف الدين، مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي دراسة في مؤسسات المدينة التجارية1711-1835، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998، ص209.

[91] عقيل محمد البربار، مرجع سابق، ص52-53؛ ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص67-68؛ عمر علي بن إسماعيل، مرجع سابق، ص175-176.

[92] تقرير قنصل نابولي بطرابلس بيترو سولير حول تجارة الإيالة ومداخيلها يناير1790م ... مصدر سابق.

[93] ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص64، 109-110.

[94] جون فرانسيس ليون، مصدر سابق، ص249.

[95] Abbassi, Op, Cit, pp250-290.

أيضا: كوستانزيو برنيا، مصدر سابق، ص272؛ كولا فولايان، مرجع سابق، ص89-91.

وبكل براعة[96]، خاصة في مدينة محافظة متمسكة بالدين الاسلامي، الذي يحرم الربا، يضاف إلى هذا إنعدام المنافس الأجنبي في مدينة قليلة السكان كمدينة زليتن، أما هؤلاء اليهود فقد مارسوا وسيطروا على تجارة الذهب والفضة والمال في المدينة، كما سيطروا على أغلب مفاصل التجارة في العاصمة طرابلس وكبريات المدن الطرابلسية، وتحكموا في التجارة مع أوربا، وبالتالي ازداد التوسع والازدهار المالي والاقتصاي لليهود في زليتن، وحظى التجار اليهود بمكانة كبيرة لدى الباشوات؛ نظرا لما كان في أيديهم من أموال وما يمتلكونه من نفوذ في السوق المحلي والدولي، مما جعل جل الباشوات يقدمونهم على العناصر المحلية والأجنبية وخاصة في عهد يوسف باشا، فالأخير عمل على تقوية النشاط المالي والتجاري لليهود وخاصة قبل استفحال الأزمة المالية التي عصفت بحكم الباشا المذكور[97]؛ فانعكس هذا الوضع السئ على التجار وكبار البرجوازيين يهودا كانوا أو غيرهم كما سنرى.

كان النشاط الزراعي والحرفي والرعوي قد شجع ونشط التجارة العامة في المدينة، والواقع إن كبار تجار زليتن كانوا مجبرين على المتاجرة وفق احتكار الباشوات للسلع التجارية، بالتعاون الكامل مع اليهود والأجانب[98]، ومن خلال التحكم في جل قنوات الانتاج والحرف والمال في زليتن أسهم التجار بشكل عام في تغذية النشاط التجاري في الإيالة، ناهيك عن تغذية حاجات المناطق المجاورة للمدينة، فكانت طرابلس تعتمد بشكل كبير على منتوجات زليتن الزراعية والنباتية وخاصة الزيت والتمر والشعير، وهي سلع ومنتوجات من حيث الأسعار كانت أقل كلفة من نظيراتها في سوق العاصمة طرابلس والأسواق الطرابلسية الأخرى، بل والإسهام في تصدير الفائض عبر مرساها أو عبر مراسي المدن المجاورة[99].

وعلى الرغم من أن مرسى مدينة زليتن كان صغيرا وغير ميسر الرسو فيه للسفن الكبيرة الحجم، لصغر حجمه ووجود الصخور المتناثرة فيه[100]، إلا أنه كان عامرا بحركة شحن وتفريغ للسلع والبضائع المتنوعة، التي تسوق أو تجلب من السوق الرئيسي بزليتن الذي كان في انعقاد دائم، واختير مكانا له قرب المرسى[101]. كان يستعاض بالقوارب الصغيرة لإيصال منتجات المنطقة الزراعية والصناعية للسفن الرابضة في عرض المتوسط قبالة شاطئ زليتن، والتي لم يكن من مهامها إفراغ حمولتها من البضائع أو نقلها إلى جهات وموانئ طرابلسية أو متوسطية وحسب[102]، بل كانت تنقل بعض الركاب والمسئولين الطرابلسيين، الذين كانوا يرسلون من قبل الباشوات في طرابلس إلى زليتن أو يمرون بمرساها في طريق الذهاب أو العودة من مهمات وسفريات كانوا مكلفين بها في مصراتة أو في مدن الشرق الطرابلسي[103].

كان النشاط التجاري بزليتن قد أفرز شخصيات من أهالي زليتن، أصبحت من كبار تجار المنطقة الغربية في العهد القرمانلي[104]، هؤلاء كانوا يساهمون بأموالهم وتجارتهم في تقوية خزينة الباشا ماليا، ومن ثم نالوا حظوة لدى الباشوات

---

[96] جيرار البروفنصالي، مصدر سابق، ص116.

[97] Abbassi, Op, Cit, pp250-290.

أيضا: شارل فيرو، مصدر سابق، ص339-341؛ تقرير قنصل نابولي بطرابلس بيترو سولير حول الأوضاع السيئة والاقتصادية في طرابلس بتاريخ24ديسمبر1789م انظر نص التقرير كاملا عند: امحمد سعيد الطويل، مرجع سابق ص466-468؛ ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص181؛ إتوري روسي، مصدر سابق، ص341؛ جون فرانسيس ليون، مصدر سابق، ص249؛ إنعام محمد سالم شرف الدين، مرجع سابق، ص132-133.

[98] تقرير قنصل نابولي بطرابلس بيترو سولير حول الأوضاع السيئة والاقتصادية في طرابلس بتاريخ24ديسمبر1789م مصدر سابق؛ عمر علي بن إسماعيل، مرجع سابق، ص182، 191.

[99] بيتشي، مصدر سابق،، ص 69، 77-78، 339. ارتبطت زليتن منذ القدم واشتهرت بتجاراتها المتوسطية وخاصة مع مصر وصقيلة، انظر: الحسن الوزان ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، مكتبة الأسرة، القاهرة،2005، ص516.

[100] محمود ناجي، مصدر سابق، ص24، 62؛ بيتشي، مصدر سابق،، ص78، 339.

[101] بيتشي، مصدر سابق،، ص78، 339.

[102] محمد عمر مروان، مرجع سابق، ص340-341.

[103] حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/2، ص208؛ جون فرانسيس ليون، مصدر سابق ص249.

[104] كان من ضمن كبار التجار القائمين بالإشراف على التجارة الخارجية لإيالة طرابلس وخاصة مع تونس ونحوها تجار من زليتن منهم: سالم بن علي بن قنونو وسالم بم محمد الزليتني، وقد عرف عنهما الشراكة لبيع الحبوب ونحوها بجزيرة جربة بتونس، وجاء في يوميات حسن الفيه حسن 20شعبان1243ه بيان ما

ليس في زليتن وحسب، بل تعدتها إلى جل المدن والمناطق الطرابلسية الأخرى بما فيها العاصمة طرابلس، التي أقاموا فيها، ومن ثم مارسوا التجارة الداخلية في أسواق العاصمة، ومارسوا وأشرفوا على حركة التبادل التجاري بين زليتن ومدينة طرابلس ومناطق طرابلسية أخرى، وبين زليتن وموانئ متوسطية إقليمية كميناء جربة في تونس[105].

كان الهدف من تنمية نشاطات اليهود والتجارة بشكل عام في منطقة زليتن أولا أن مكانة زليتن في سياسة باشوات طرابلس أتت أكلها، فقد ساهمت زليتن بقدر كبير في صادرات الإيالة، وخاصة في عهد الازدهار الذي عاشته الإيالة في العقدين الأولين من القرن التاسع عشر الميلادي، فمثلا كان منتوج الزيت والتمور مصدرا مهما لخزينة الباشا في طرابلس خلال العهد القرمانلي، كما كان العمود الفقري لمداخيل أهالي زليتن وسبيلهم في الحصول على الغذاء، مما يفسر الاهتمام الكبير بشجرتي الزيتون والنخيل في تلك الفترة[106]. ورغم عدم وجود احصائيات دقيقة بحجم مساهمة زليتن في التجارة الخارجية للإيالة وخاصة الصادرات لكن يمكن أن نستشف المساهمة الفاعلة للمدينة في صادرات الإيالة البالغة449 ألف كولون سنويا، يشكل القمح والزيت والحيوانات ومنتوجاتها 104ألف كولونة، ويعزز هذا حركة السفن التجارية الأجنبية وحتى المحلية التي زارت أو غادرت ميناء طرابلس سنة1824م لوحدها بحوالي 196 سفينة تجارية[107].

وثانيا إيجاد البدائل المالية لخزينة الباشوات من خلال الضرائب التي كانت تفرض على اليهود وسكان زليتن مثلما كانت تفرض على سكان الدواخل وأهم تلك الضرائب ضريبة الرأس، وقدر مجموعها على الأنفس والحيوانات بحوالي أربعة ألاف

قرش سنويا[108]. فضلا عن هذا كان أولئك الباشوات يستفيدون من الرسوم الجمركية والضرائب المتنوعة التي كانت تفرض على البضائع وأصحابها، كمدخول اعتمدت عليه خزينة الباشوات القرمانليين إبان حكمهم لطرابلس[109].

ومع تراجع عمليات الجهاد البحري في المتوسط بعد مؤتمر فيينا سنة 1815م وماترتب عليه من أزمات مالية، عصفت بحكومة يوسف باشا القرمانلي، جعلت الأخير يفرض الضرائب الباهضة على اليهود رغم صداقته وعلاقاته القوية بهم[110]. كما إنه بسبب مطالبة الدائنين الإنجليز بسداد ديونهم المتراكمة على الباشا مقرونا بإلحاح القنصل الإنجليزي بطرابلس وارنجتون قرر يوسف باشا فرض ضرائب استثنائية على سكان الإيالة لسداد تلك الديون، فكانت زليتن من ضمن المناطق المستهدفة بتسديد قدر ليس باليسير من تلك الديون، ضمن مقدار مالي تقرر أن تدفعه مناطق الشريط الساحلي الممتد بين مصراتة وزواره وقدر بخمس وثلاثين ألف ريال دورو[111]. ولتنفيذ رغبات الباشا وجمع الأموال المطلوبة في ميعادها فقد أرسل بحارس أختامه مفتاح الزوبي وسكرتيره محمد زين الدين إلى زليتن ومصراتة؛ لتحصيل الأموال المقدرة والمفروضة على هاتين المنطقتين، في وقت كان سليمان بورقيقة يقوم بذات الدور في الخمس ومسلاته،

أرسله الحاج الكعامي من جربة إلى خليل بك ببنغازي من جربة على يد الزليتني وهو ستة برانيس حلاليات كبار2 و4 صغار انظر: حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/1، ص368؛ محمد عمر مروان، مرجع سابق، ص327-328، 340-341؛ إنعام محمد سالم شرف الدين، مرجع سابق، ص209.

[105]() إنعام محمد سالم شرف الدين، مرجع سابق، ص209.

[106]() شارل فيرو، مصدر سابق، ص340؛ انعام محمد سالم شرف الدين، مرجع سابق، ص98.

[107]Calogero Piazza, Statistiche Sul Commercio Di Benghazi (1828), Africa: Rivista trimestrale di studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente, Anno 39, No. 1 (MARZO 1984), pp. 57–70 .

أيضا: إتوري روسي، مصدر سابق، ص415-417؛ امحمد سعيد الطويل، مرجع سابق، ص366-367.

[108]() كوستانزيو برنيا، مصدر سابق، ص272؛ رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص31.

[109]() تقرير قنصل نابولي بطرابلس بيترو سولير حول تجارة الإيالة ومداخيلها يناير1790م .... مصدر سابق.

[110]()رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص181، 206-207؛ كوستانزيو برنيا، مصدر سابق، ص274-275؛ رسائل القس م. أز بيرك، ست سنوات في طرابلس على الساحل المغاربي(1826-1833)، ترجمة: إيمان فتحي، دار الفرجاني، طرابلس، ط/1، 2010 ، ص102-104؛ عمر علي بن إسماعيل، مرجع سابق، ص194.

[111]() نشرة من قبل يوسف باشا بتجديد قيمة الضرائب المقررة على المحاصيل والأشجار والثمار والأشخاص طرابلسيين وأجانب بتاريخ4ربيع الاول1247هـ/ 13 أغسطس1831م، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات الوثائق العربية وثائق الملف رقم24 حسن الفقيه حسن الوثيقة رقم18؛ حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/1، ص402.

هذا فيما يخص منطقة زليتن وماجاورها، أما مناطق طرابلس والزاوية وزوارة وبنغازي ومدن الإيالة الأخرى فقد أنيط بقاده آخرين، وجههم الباشا للقيام بذات المهمة[112].

هكذا كانت مكانة زليتن في سياسات باشوات طرابلس القرمانليين، هذه المكانة تأثرت بجملة من الظروف التي عايشتها الإيالة الطرابلسية بشكل عام وزليتن بشكل خاص، ومن ثم أسهم في تراجع مكانة وأهمية المدينة عند باشوات طرابلس ماليا وعسكريا واقتصاديا؛ فالجفاف والأوبئة والطواعين والمجاعات التي ضربت الإيالة في الكثير من الأحيان كان كفيلة بفناء أو هجرة السكان، وتوقف النشاط الاقتصادي برمته في زليتن إسوة بغيرها من المناطق المنكوبة[113]. ولايخفى على المتتبع تأثير السياسات المالية والضرائبية والقمعية التي كان يمارسها الباشوات في طرابلس حيال الأزمات التي كانت تعترض الإيالة طبيعية كانت أو مالية أو حروب وفتن ونحوها، فالهم الأكبر لأولئك الباشوات كان الحصول على المال من خلال فرض الضرائب الباهضة واحتكار تجارة الكثير من السلع بما في ذلك السلع الغذائية؛ مما أسهم في ارتفاع الأسعار وازدياد

موجة الغلاء مع ركود التجارة وتوقف التجارة الخارجية والداخلية بمغادرة التجار الأجانب واليهود لجل المدن الطرابلسية، وانتشار البطالة وزيادة حالة الفقراء والمعدمين سوءا على سوء[114].

يضاف إلى هذا ضعف بعض باشوات طرابلس وتناحر أبنائهم وأحفادهم على السلطة، ومانتج عن ذلك من حروب أهلية مدمرة؛ أفضت إلى تدخلات خارجية واجتياح بعض المدن الليبية من قبل قوات أجنبية أو مغامرين في عدة مناسبات، كان آخرها إعادة الإيالة للحكم العثماني المباشر سنة1835م[115]. كل هذا كان كفيلا بخلط الأوراق وانهيار مكانة زليتن، بل انقسام سكانها بين مؤيد للباشا الحاكم ومؤيد لخصومه، المطالبين بالحكم أبناء كانوا أو إخوة، كما حدث عندما وقف معظم أهالي زليتن مع يوسف باشا طرابلس بعد طرد علي برغل من طرابلس 1795م، وتمكنه من الاستيلاء على الحكم من خلال انقلابه على شقيقه أحمد باشا الباشا الرسمي للإيالة سنة 1797م، ربما كان تأييد زليتن ليوسف والرضا بحكمه لما توسم فيه الأهالي بإيالة طرابلس جمعاء من حكمة وقوة شكيمة لإخراج البلاد من وضعها السئي الذي عايشته منذ تفجر الحرب الأهلية سنة1791م، مقرونة أصلا بعجز وضعف الباشا علي القرمانلي1754-1793م[116]. وأخيرا انقسام أهالي زلين بين الولاء لعلي باشا الثاني والولاء لابني أخيه محمد وأحمد حال تنازل العجوز يوسف باشا القرمانلي عن الحكم سنة 1832م، أو الانضمام للثورة العارمة التي شهدتها الإيالة، وما ترتب عليها من حروب وصراعات كانت منطقة زليتن وماجاورها أحيانا مسرحا لها[117].

عامل آخر متداخل مع غيره من العوامل وممتزج مع الظروف المحيطة جعل مكانة زليتن تتراجع في السياسات العامة للباشوات القرمانليين، وهو بروز مصراتة كنقطة ساحلية معتبرة وكقوة بشرية واقتصادية، حجبت دور زليتن وماجاورها من مناطق صغيرة، لا تتمتع بثقل بشري واقتصادي أو منفذ بحري مناسب وعلاقات ونشاطات بحرية كمصراتة، التي

---

[112]() لتفاصيل أوفى أنظر: إسماعيل كمالي، مصدر سابق، ص70-77؛ حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/1، الصفحات402 ،449، 512، 514؛ علي مصطفى المصراتي، مرجع سابق، ص153-154.

[113]() بخصوص هذه الأزمات أنظر: رسالتي القنصل الإنجليزي القائم مقام قنصل نابولي بطرابلس إلى حكومته بتاريخ 14و19أكتوبر1827م المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات الوثائق الأجنبية، وثائق نابولي المجلد الخاص بسنوات1827-1830م، وثائق غير مصنفة؛ رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص106-110؛ ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص130-137، 145، 167-168، 184-185؛ كولا فولايان، مرجع سابق، ص42.

[114]()رسالة قنصل نابولي دي مارتينو بتاريخ 16مارس1822م إلى حكومته ورسالة القنصل الإنجليزي بطرابلس وارنجتون لحكومته وحكومة نابولي بتاريخ30مارس1822م، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات الوثائق الأجنبية، وثائق نابولي المجلد الخاص بسنوات1800-1826م وثائق غير مصنفة.

[115]() بخصوص الحروب الأهلية في إيالة طرابلس الغرب والتدخلات الأجنبية في الإيالة خلال عدة مناسبات أنظر: رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص90-264.

[116]()ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص322-470.

[117]()رودلفو ميكاكي، مصدر سابق، ص228-264؛ شارل فيرو، مصدر سابق، ص424-434؛ إسماعيل كمالي، مصدر سابق، ص87-128.

اكتسبت مكانة لدى باشوات طرابلس، وخاصة في أواخر حكم يوسف باشا القرمانلي، وتفاقم الأوضاع الأمنية والمالية والسياسية في الإيالة[118].

ختاما يمكن القول إن زليتن اكتسبت مكانة اجتماعية وعسكرية واستراتيجية واقتصادية في الكثير من فترات الحكم القرمانلي، وحظيت بمكانة في سياسة معظم الباشوات القرمانليين، الذين سعوا في فترات مجدهم للاستفادة أيما استفادة من كل إمكانيات المدينة ومنطقة زليتن بشكل عام، لتعزيز وتثبيت أركان ملكهم، وتقوية وتنشيط موارد خزينتهم. وبطبيعة الحال كانت فترات الانحطاط والظعف كافية بعدم قدرة أولئك الباشوات على الاستفادة من زليتن بأي حال من الأحوال. ومجمل القول فإن هذه النتيجة دللت على أهمية المدينة وأهمية موقعها الجغرافي، كلبنة وذرة في الساحل الطرابلسي الواقع غرب مصراتة، لتشكل مع التجمعات البشرية الساحلية والجبلية الأخرى مخزونا سكانيا واقتصاديا، يمكن الاستفادة منه عند وضع السياسات من قبل حكام البلاد الليبية في قادم الأيام.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة: (المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات)

أ- الوثائق العربية:

- رسالة علي باشا القرمانلي إلى محمد بيت المال بتاريخ25ربيع الاول1248هـ/ 22 أغسطس1832م، وثائق الملف رقم24 حسن الفقيه حسن، الوثيقة رقم16.
- تقرير محمد بيت المال عن زيارته لبعض المناطق بعد تنازل يوسف باشا عن الحكم غير مؤرخ، وثائق ملف رقم24 حسن الفقيه حسن الوثيقة رقم24.
- نشرة من قبل يوسف باشا بقيمة الضرائب المقررة على المحاصيل والأشجار والثمار والأشخاص طرابلسيين وأجانب بتاريخ4ربيع الاول1247هـ/ 13 أغسطس1831م، وثائق الملف رقم24 حسن الفقيه حسن الوثيقة رقم18.

ب-الوثائق الأجنبية:

- رسالة قنصل نابولي دي مارتينو بتاريخ 16مارس1822م إلى حكومته، وثائق نابولي المجلد الخاص بسنوات1800-1826م وثائق غير مصنفة.
- رسالة القنصل الإنجليزي بطرابلس وارنجتون لحكومته وحكومة نابولي بتاريخ30مارس1822م، وثائق نابولي المجلد الخاص بسنوات1800-1826م وثائق غير مصنفة.
- رسالة القنصل الانجليزي القائم مقام قنصل نابولي بطرابلس إلى حكومته بتاريخ 14 أكتوبر 1827م، وثائق نابولي المجلد الخاص بسنوات1827-1830م، وثائق غير مصنفة.
- رسالة القنصل الانجليزي القائم مقام قنصل نابولي بطرابلس إلى حكومته بتاريخ 19أكتوبر1827م، وثائق نابولي المجلد الخاص بسنوات1827-1830م، وثائق غير مصنفة.

ثانياً: الكتب العربية:

- بن إسماعيل، عمر علي، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا1795-1835م، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ط/1، 1966.
- الأنصاري، أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ج/1، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، د.ت.
- البربار، عقيل محمد، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث، دار الحكمة، طرابلس، ط/2، 2009.
- البرموني، أحمد كريم الدين، تنقيح تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب سيدي عبد السلام رحمه الله، تنقيح وتعليق: محمد بن محمد بن مخلوف، مكتبة الثقافة، بيروت، 1966.
- بك، محمد فريد، البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، تحرير ودراسة: أحمد زكريا الشلق، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط/2 ،2006.
- الجميلي، قاسم، صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،2003.

[118]() بخصوص هذا الموضوع راجع: حسن الفقيه حسن، مصدر سابق، ج/1، ص239، 244، ج/2 ص43-44 ،58-59، 104-105، 293، 308-309؛ ريتشارد توللي، مصدر سابق، ص210؛ كولا فولايان، مرجع سابق، ص139-211.

- حسن، حسن الفقيه، اليوميات الليبية ج/1، 958-1248هـ/1551-1832م، تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط/2 ،2001.
- حسن، حسن الفقيه، اليوميات الليبية ج/2، الحرب الأهلية ونهاية العهد القرمانلي 1248-1251هـ/1832-1835م، تحقيق عمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط/1 ،2001.
- حميدة، علي عبد اللطيف، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا دراسة في الأصول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لحركات وسياسات التواطؤ ومقاومة الاستعمار1830-1932، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط/2، 1998.
- بن رابعة، مصطفى عمران، رسائل الأسمر عبد السلام بن سليم الإدريسي الحسني إلى مريديه، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط/1، 2002.
- الزاوي، الطاهر أحمد، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ط/1 ، 1968.
- شرف الدين، إنعام محمد سالم، مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي دراسة في مؤسسات المدينة التجارية1711-1835، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998.
- الشهراني، الجوهرة عبد الله سلطان، إمارة قرمان في آسيا الصغرى(625-888ه/1227-1483م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط/1 ،2021.
- الطويل، امحمد سعيد، البحرية الليبية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس،2012.
- مروان، محمد عمر، سجلات محكمة طرابلس الشرعية1174-1271ه/1760-1854م دراسة في مصدر تاريخي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003.
- المصراتي، علي مصطفى، رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وتونس، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، ط/2، 2009.
- الورثيلاني، الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المخطوطة غير المحققة، الجزائر، 1908.

ثالثاً: الكتب المترجمة:

- الأفريقي، ليون الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، مكتبة الأسرة، القاهرة،2005.
- اينالجيك، خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد .م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط/1 ،2002.
- البروفنصالي، جيرار، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبد الحكيم عبد السلام الأربد، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،2007.
- برنيا، كوستانزيو، طرابلس من 1510إلى1850م، تعريب: خليفة محمد التليسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط/1 ،1985.
- بيتشي، هنري وفريدرك، الأخوان بيتشي والساحل الليبي1821-1822، ترجمة: الهادي مصطفى بولقمة، جامعة قاريونس، بنغازي، ط/1 ،1996.
- بيرك، القس م. أز، ست سنوات في طرابلس على الساحل المغاربي(1826-1833)، ترجمة: إيمان فتحي، دار الفرجاني، طرابلس، ط/1، 2010.
- التر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام أدهم، دار الفرجاني، القاهرة- طرابلس- لندن،1991.
- توللي، ريتشارد، عشر سنوات في بلاط طرابلس وصف شامل لذكريات صادقة عن طرائف البلاط وباشا الإيالة الحاكم وعادات وتقاليد مسلمي المغرب والعرب والأتراك، نقله إلى العربية عمر الديراوي أبو حجلة، دار الفرجاني، طرابلس- القاهرة- لندن، د.ت.
- جولدبرج، هارفي، حياة اليهود في ليبيا المسلمة بين التنافس والقربى، ترجمة: محمد عمران أبوميس، دار الفرجاني، طرابلس، ط/1 ،2016.

- دي أغسطيني، هنريكو، سكان ليبيا القسم الخاص بطرابلس الغرب، تعريب وتقديم: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط/2، 1978.
- روسي، إتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى يسنة1911، ترجمة وتقديم: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا –تونس، ط/2 ،1991.
- فولايان، كولا، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة: عبد القادر مصطفى المحيشي، مراجعة: صلاح الدين حسن السوري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، ط/1 ،1988.
- فيرو، شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع مقدمتها النقدية محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط/3، 1994.
- كمالي، إسماعيل، سكان طرابلس الغرب، تعريب وتعليق: حسن الهادي بن يونس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،1997.
- لاشيلا، باولو دي، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة سنة1817م، ترجمة: الهادي مصطفى بولقمة، دار مكتبة الفكر طرابلس، د.ت.
- ليون، جون فرانسيس، مذكرات فرانسيس ليون من طرابلس إلى فزان 1818، تعريب: مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1976.
- ميكاكي، رودلفو، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، نقله للغة العربية طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت.
- ناجي، محمود، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى، دار الفرجاني، طرابلس، ط/2 ،1995.

رابعاً: الأبحاث والمقالات:

- الطوير، محمد امحمد، ثورة عبد الجليل سيف النصر ضد الأتراك العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب1831-1842م بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى سنة 1911م، ج/1، تأليف مجموعة من الأساتذة والباحثين إشراف: صلاح الدين حسن السوري وسعيد علي حامد، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط/1 ،2011.
- الهدار، خالد محمد، زيارة الرحالة الأسباني علي بك العباسي لطرابلس في أوائل القرن التاسع عشر، مجلة تراث الشعب، العدد: 1-2 ،2003.

خامساً: مصادر باللغات الأجنبية:

Abbassi, Ail, Travels of Ali Bey, in Morocco, Tripoli, Cyprus, Egypt, Arabia, Syria, and Turkey, Vol.-2 of 2: Between the Years 1803 and 1807, Philadelphia: printed for John Conrad, at the Shakespeare Buildings, James Maxwell, Printer. 1816.

- Cordell, Dennis D, The Awlad Sulayman of Libya and Chad: Power and Adaptation in the Sahara and Sahel, Canadian Journal of African Studies, Vol19, No2, 1985.
- Hasnawi, Habib W " Fazzan under the Rule of the Awlad Muhammad, A study in Political,Economic,Social and Intellectual History," ph.D.Thesis, London of Universty, 1986.
- Piazza,Calogero, Statistiche Sul Commercio Di Benghazi (1828), Africa: Rivista trimestrale di studi e documentazione dell'Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente, Anno 39, No. 1 (MARZO 1984).

The Status of Zliten in The Policy ofThe Pashas of Tripoli During The Karamanli Era AD 1835- 1711

Muftah Balid Ghoyta

Al-Marqab University ، Department of History Faculty of Arts

Abstract:

Due to the strategic, economic, social, and political importance of Zliten, it was treated in a special way during the Qaramli era, and it gained a significant and prominent position in the politics of the Qaramanli Pashas, who ruled the capital, Tripoli. Perhaps this position was not less important than that of other centers, sites, and cities located in the west of the Eyalet of Tripoli, or in its other central, southern, and eastern parts.

Since it is a predetermined result and an accepted fact, the present study attempts to find out the reasons and backgrounds for the interest of the Tripoli Pashas in Zliten and to ensure the effectiveness of its vital role at various levels. And here we mean the Qaramanli policy that was adopted towards Zliten, the place, the population, the location, the resources, etc… The study raises the question about the position of Zliten in the general policy of the Qaramanli Pashas during the Qaramanli era and its backgrounds and the extent to which that policy succeeded in benefiting from Zliten in serving the private and public interests of the Qaramanli government.

The study assumes a great benefit of the Pashas of Tripoli from Zliten, financially, economically, and strategically. To test this assumption and answer the aforementioned questions, the study followed the historical method based on the description, narration, and analysis, relying on important, if scarce, sources that were included in the documents and sources of the Arabic and non-Arabic period, both published and unpublished.

Keywords: Pashas of Tripoli, The Karamanli era, Zliten, Economy